تأبين الفقيد يوم الوفاة

(١) مرثية محرر ابولو

(نشرت فى جريدة المقطم)

أهذا هو الجسمُ الذى كان انسانكْ
أهذا هو الظلُّ الذى كنتَ ساكناً ؟
أهـذا مآلُ العبقريةِ بَعْدَ ما
فُجِعْنَا بهذا الخطبِ فيكَ ، وانّه
لأنْ لم نكنْ بالأمس نبسمُ للمُنَى
كأنا جُمِعْنَا للوداعِ فيا أسَى !
ختمتَ كتاباً للحياةِ وإنْ تكنْ
وإنْ أسرفَ اللوّامُ لوماً فانني
بكيتُ وقد جاء النَّعِيُّ يُثيرنى
وانّى الذى يَنْسَى الاساءةَ راضياً
فواعجبى ممن يرَى الحقدُ قلْبَهُ
وما أنتَ بَعْدَ الموتِ الا كجنّةٍ
رحلتَ بايمان التّقىّ فلم تَحُلْ
وما هدّهُ استهتارُ عيشٍ مُنوَّعٍ
وفى ذمّةِ العرفانِ ما قد بذلتَهُ
أحَبُّ جمالٍ كنتَ تُسديه للورى
وآياتُ أنغامٍ بلفظٍ مسلسَلٍ
إذا لم تُطِعْهُ الرّوحُ يَفتنُ مِسْمَعاً
ومَنْ ذا الذى يَنْسَى خيالاً موزّعاً
مواهبُ شتّى إنْ غُرِرْتَ بقدرِها
فهل أنتَ الا آدميٌّ وإنْ تكُنْ
حكيمٌ بشعر لا بِحُسْنِ سياسَةٍ

أهذا هو الكنزُ الذى عُدَّ جثمانَكْ ؟
أهذا هو السفرُ الذى ضمَّ ديوانَكْ ؟
أدمتَ لسحرِ العبقريةِ ألحانَكْ ؟
عميمٌ ،وما استثنيتُ مَنْ أنكرواشانَكْ
لديكَ ، وكم خانَ الزمانُ الذى خانَكْ
ويا لَوعةَ الفنّانِ يشهدُ فقدانَكْ
خططتَ لسفرٍ آخرٍ منكَ عنوانَكْ
إذا سألَ التاريخُ أذكرُ احسانَكْ
بكاءَكَ فى المنفى تُسائل أوطانَكْ
وهيهات أن أرضَى كغيرىَ نسيانَكْ
وآثَر حتى فى المنيةِ عُدوانَكْ !
فما تُلهبُ النيرانُ للحقدِ نيرانَكْ
وحَسْبُكَ للديّانِ أن صُنْتَ ايمانَكْ
كأنّكَ فى الحالَيْنِ حالفتَ ديّانَكْ !
اذا رفضَ الحُسّادُ للمجد عرفانَكْ
صحائفُ للتاريخ أشْبعْنَ ألوانَكْ
فكلُّ قصيدٍ زفَّ كالراحِ أوزانَكْ
ويُعطِى لموسيقى الملاحةِ وجدانَكْ
على الكونِ حتى صرتَ تخلقُ أكوانَكْ ؟!
وأكبرتَ مِنْ بعدِ التّفرّدِ بُنيانك
عظيماً ،وقد أثقلتَ فى الحُكمِ ميزانَكْ ؟!
لذلك قد ضاعفتَ فى العيش أحزانَكْ

فنمْ هانئاً ، بل طُفْ بدنيا جديدةٍ ... مِنَ الشّعرِ ، وانظرْ فى خلودكَ شَهبانَكْ
وخلِّ لنا فى حكمةِ الموتِ هذه ... كثيراً من الاعباء ما كُنَّ شُغلانَكْ
تَحَدَّ جَرِيئاً مَنْ تحدَّاكَ كى يفى ... الى الادب العالى بمافاتَ حُسْبانَكْ !
فهذا وهذا وَحْدَهُ صدقُ هِمَّةٍ ... والا فلقِّنْ راحةَ النَّومِ أجفانَكْ !
ودع تُرَّهاتِ الشانىءِ الساخطِ الذى ... يُجَرِّدُ شعراً صُفْتَ مِنْ كل ما زانَكْ
ودعنى اكرِّرْ شكرَ قلبى وحسرتى ... وودّاً على الايام لم أسْلُ سُلْوانَكْ
مَضَيْتَ كمُلْكٍ باذخٍ هُدَّ أصلُهُ ... ولكنْ له ذكرى تُصاحب إرْنانَكْ
وخلَّفْتَ صيتاً بين قدحٍ ومدحةٍ ... وحسبُكَ عُمراً حين تملأ أزمانكْ
وكم مِنْ دَعِىٍّ منكرٍ فيكَ آيةً ... وغايتُه ألاَّ يُبَلِّغَ أكفانَكْ !

احمد زكى ابو شادى

(٢) مرثية رئيس تحرير الجهاد

فى منتصف الساعة الرابعة من صباح اليوم ، (الجمعة ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥١ هجرية الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ميلادية) أو قبل هذه الساعة بدقائق استأثر الله بأمير الشعراء .

وفى هذه الساعة عادت الى بارئها تلك الروح العبقرية التى أرقصت قلوب الامم العربية جيلين من الزمان بفنونٍ من الشعر أو نفثات من السحر لاتجود الفطرة بمثلها على أصحاب المواهب إلا فى قليل من العصور .

* * *

شوقى مات ! مات كما مات أحوه حافظ ولمَّا ترقأ دموع الباكين على أدبه وعلى شمائله وصفاته ، فجاء موت أمير الشعراء جرحاً دامياً على جرح لم يندمل بعد .

مات كما مات حافظ على غير مرض سابق ولا علة قديمة . وهكذا أبت الاقدار الاان تسلب العالم العربى أنضر زهرتين كان يتضوَّع أريجهما فى كل بلد ينطق بالضاد ، وهكذا أبت الاقدار إلا أن تسلبنا أعظم درتين فى تاج الأدب ، وأن تسلبنا إياها بغتةً وعلى غير أهبة لاحتمال المصاب .

* * *

ثكلت العربية شوقى صبيحة اليوم بعد ان ثكلت حافظاً . فواحرّ قلب العربية على الفقيدين ! مات شوقى فليبكه الفتيان والشيوخ ، ولتبكه الأوانس والسيدات فى مصر وفى أخواتها العربيات ، فقد كان شعره قطعاً موسيقية بارعة من وحى العبقرية يتغنى بها أبناء هذه اللغة العزيزة وبناتها فى كل حين وفى كل مكان .

ذهب شوقى فانقضى بذهابه عهد الفحول من الشعراء الذين أحيوا فى عصرنا الحديث مجدَ الاقدمين .

مات الذى أورث العربية مجداً تالد ، وزادها فيضاً خالداً على فيض خالد . وهذا ديوانه الفخم فى مجلدين يملآن النفوس إكباراً والقلوب بهجة بما يحتويان من بدائع القول الخالد وأشتات المعانى الرائعة وأفانين الأسلوب الممتنع الا على أمراء الصياغة المطبوعين .

وهذه رواياته المسرحية الأخيرة يكفى بعضها برهاناً مبيناً على العظمة الباقية على وجه الزمان .

مات شوقى فانتظم فى سلك الخالدين . وكم يكون موت العباقرة ، نعم كم يكون فناء أشباحهم أول خطوة تخطوها أرواحهم فى سبيل الخلود بما تتوارثه الاجيال المتعاقبة من آثارهم التى لا تفنى ولا تنساها سلالات المستقبل مهما استحالت الاحوال وتطاولت الدهور .

ولعل معانى العظمة فى شوقى لن تزداد بعد موته الأوضوحاً وجلاء : ذلك ان ورثة آثاره من أبناء هذا الجيل والاجيال القادمة سيشتغلون بشاعريته الفذّة عن شؤونه العرضية الاخرى ، وذلك أن الناس لن يهمهم كيف كان يأكل شوقى ويشرب ، ولا كيف كان يلبس ويظهر بين الناس ، ولا ماذا كانت رغائبه ومطامحه ، ولا ماذا كان يحب من دنياه أو ماذا كان يكره . وانما الذى سيهم الوارثين لآثار شوقى من عشاق الأدب فى الامم العربية هو نفاسة ما ترك من كنوز عبقريته وذخائر أدبه . فهذه هى الباقية ، أما ماعداها مما كان لشوقى او عليه فى أيام العمر الفانية فقد انقضى أمره بانقضاء الاجل . ومن فضل الله ونعمته على الناس ان يجعل أسمى ثمرات المواهب البشرية ملكاً باقياً للانسانية لا تناله يد الفناء ، فى حين تنقضى الامور الثانوية العارضة بانقضاء أيام الحياة !

فليقل من يشاء فى دنيويات شوقى ما يشاء . ولكن للادب دولة عالية العروش سينادى منادى الخلود من فوق منارتها العليا : لقد مات أمير الشعراء غير منازع ! لقد مات شوقى ! فليبكه المصريون ، وليبكه العرب فى كل بلد عربى أويقطنه عربى ، وليبكه المسلمون فى أنحاء المعمور ، فقد كان شوقى شاعر العربية وشاعر الاسلام ، وكان أثمن درة فى تاج الادب ، وقد انتزعت هذه الدرة فى منتصف الساعة الرابعة من صباح اليوم !

الى عالم الخلود ! الى جوار حافظ ! لقد رثيته فكان مطلع مرثيتك :

قد كنتُ أوثرأن تقولَ رثائى يا منصفَ الموتى من الاحياء

والآن تنعمان باللقاء ولم يطل الفراق !

الى عالم الخلد يا أمير البيان ، تشيعك الأكباد الحرى والدموع الجارية والقلوب التى مهما خففت بعرفان أياديك على أبناء العربية فى مدى جيلين من الزمان ، فلن تؤدّى لك ما أنتَ أهله أيها الراحل العزيز ، أيها العظيم الخالد ، من الشكر والحمد والثناء .

رحمة الله عليك ياشوقى ورضوانه وبركاته الطيبات ؟

محمد توفيق دياب

(٣) مرثية رئيس تحرير البلاغ

من أيام قليلة ودّعتْ مصر حافظاً واليوم تودّع شوقى ، فلا عجب إن هى فتّ الاسى فى عضدها وتخاذلت قواها وأحست كأن الردى يحاربها فى خير أبنائها وكأن قلبها من هذه الحرب يكاد ينخلع . وقد كان شوقى بيننا الى أمس ، بل الى شطر من الليل ، كأحسن ما يكون صحةً وأطيب ما يكون خدناً ، تريض وزار وعقد مجالس الأدب التى يعقدها كل ليلة ، ثم عاد الى داره لا يشكو ألماً ولا يفكر إلا فى ما قد ينفح به الأدب غداً ، ثم نام هادىء النفس ونامت معه آماله فى الغد ، ثم ها نحن أولاء نفتقده فى صباح هذا الغد فيقال لنا إن الردى عدا عليه فطواه ، فما ندرى

أنبكيه أم نبكى أنفسنا ، ونجزع من دنيانا هذه الخؤون أم نزدريها ! وهى فى الحق خليقة بأن تزدرى ، وشوقى خليق بأن نرسل من ورائه الدموع .

لم يكن شوقى شاعراً وكفى ، بل كان مجداً لمصر فى عصره كله . وعصره هذا يمتدّ من أخريات عهد اسماعيل باشا الى اليوم ، فهو يبسط جناحيْه على نصف قرن كامل تقلبت فيه على الشعر والأدب أطوار ، منها اللين ومنها العنف ، فما ونى شوقى فى واحد منها ، ولا كان الا السابق فيها جميعاً ، حتى اذا عقدت له رياسة الشعر بعد ذلك لم تكن هذه الرياسة مرتبة يرفع اليها بل كانت شهادة بالمرتبة التى وصل اليها. ولم تقف هذه الرياسة عند حدود مصر بل تجاوزتها الى كل بلد ، فصارت رياسته بذلك رياسة لمصر وصار مجده مجداً لمصر . وقد نبحث فى تاريخ الأدب العربى كله فلا نجد لوطننا من الرياسات فيه إلا القليل النادر ، وقد تكون رياسة شوقى أكثرها كلها إجماعاً وأشدّها بروزاً .

وقد كان شوقى فى أول نشأته شاعراً يمدح وينسب ، وكان قد تعلق بالخديو السابق فجعل أغلب شعره فيه . وكان الخديو يعمل لاذكاء الروح الوطنى فانطبع شعر شوقى بهذا الطابع وظهرت له حينئذ روائع سوف تبقى ما بقى فى الدنيا شىء يسمى الأدب . أمانسيبه فى ذلك العهد فهو مما يمتزج بالقلب ويجرى مجرى الامثال . وتقلبت على مصر بعد ذلك احداث وأبعد شوقى إلى الاندلس ثم عاد فشرع يشق بالشعر طريقاً جديداً فوضع رواياته من ناحية وأغانيه من ناحية أخرى ، ففتح فى الأدب الحديث فتحين وأثبت أن الشعر العربى يستطيع أن يحاكى الشعر الافرنجى وأن يكون على المسرح لسان العاطفة والتهذيب كما هو فى القصائد لسان المدح والرثاء والنسيب . وبهذا ملأ شوقى كل جوانب الأدب ؛ ووضع على رأسه تاجاً لم يضعه شاعرٌ عربىٌّ قبله ، وحق لمصر أن تفخر بأن ابنها هو الذى كسب هذا التاج .

فهذا الجثمان الذى يحمله النعش اليوم هو جثمان رجل كان مجده الأدبى مدى خمسين عاماً مجداً لبلاده ، ومجداً للغته . وسوف يبقى هذا المجد لاتزيده الأيام إلا علواً ولا تزيد معدنه إلا نصوعاً ما بقى شعرٌ وأدبٌ . وسوف تتدارس الأجيال المقبلة رواياته كما يتدارس أبناء أوروبا الآن روايات شاكسبير وراسين وكورنيل . وسنذهب نحن ويذهب كل أصحاب الغنى والجاه فتطوينا الأيام جميعاً ويبقى شوقى علماً يذكر به العصر الذى عاش فيه .

فلينم شوقي هادئاً في قبره فقد أدّى واجبه ومرّ في الدنيا كما لم يمر قائد ولا فاتح، وهذه الدمعة عليه دمعة آسٍ لفراقه راثٍ لفجيعة بلاده فيه . فرحمه الله وأسكنه الجنة وخفف مصابنا فيه ؟

عبد القادر حمزة

◆◆◆◆◆

(٤) مرثية الدكتور علي العنانى

أُلقيت على قبر الفقيد

الدوام لله وحده ، وكلُّ نفس ذائقة الموت ، وان الى ربك الرجعى ، وفي جواره خلود الطاهرين

مات شوقي ولا نعلم رزءاً مثل رزئنا فيه ولا حزناً كحزننا عليه .

مات شوقي فصعدت روحه السامية الى عالم السعادة المحضة والخلود ، ووارينا جثمانه في باطن هذا الثرى يتجاذبنا ألمٌ لا حدّ لقسوته بمواراة رفاته ، وشملتنا غبطة بصعود روحه الى جوار ربه في عالم الخلد السعيد .

مات شوقي فاصبح للانسانية كهوميروس وهوراس وكتاليس وديكرت ، ولكن هؤلاء جميعاً يُذكر كل واحد منهم بانه قد ابتدأ عصراً في الادب أو الحكمة . وشوقي ابتدأ حياته الشعرية عصراً زاهراً في تاريخ الادب العربي وابتدأ نهايته في هذا اليوم وفي تلك اللحظة القاسية عصراً أدبياً آخر مشبّعاً بروحه الصافية وخياله الشعري والهامه الحكيم سيرويه التاريخ الادبي . وانا قد تلقيناه تراثاً خالداً ثميناً من شوقي العظيم تحافظ عليه وتنميه « جمعية أبولو » أوأسرة الشعر الحي ، وجميع الهيئات الأدبية في العالم العربي وفي طليعتها « رابطة الادب الجديد » وفروعها في الشرق .

نعم مات شوقي ! ففي ذمة الله أيها الراحل العظيم وفي وديعته يارب الشعر الحيّ ويازعيم النهضة الأدبية العربية ورئيس « جمعية أبولو » وركن « رابطة الادب الجديد » . اللهمّ الهمنا فيه الصبر ، ووفّقنا لخدمة ما تركه لنا من تراث خالد ثمين في الادب والحكمة ، وعظم الله أجركم ، وإنا لله وإنا اليه راجعون ؟

علي العنانى

(٥) مرثية الدكتور ناجى

(ألقيتْ على قبر الفقيد)

قل للذين بكَوْا على (شَوْقى) النادبين مصارعَ الشُّهْبِ
والهفتاهُ لمصرَ والشَّرْقِ ولدولةِ الاشعارِ والأَدَبِ !
دنيا تَقِر اليومَ فى لحدٍ وصحيفةٌ طُوِيَتْ من المَجْدِ
ومُسافرٌ ماضٍ الى الخُلْدِ سَبَقَتْه آلاءٌ بلاَ عَدِّ !
هذا ثَرَى مصرَ الكريمُ ، وكَمْ أكرمتَهُ وأشدتَ بالذكر
يلقاكَ فى عطفِ الحبيبِ فمْ فى النُّورِ لا فى ظُلْمَةِ القبرِ !
كم من دفينٍ رُحتَ تُحييهِ وبَعَثْتَه وكففتَ غُرْبَتَهُ
فاحْلُلْ عليه مكرّماً فيهِ يا طالما قدَّسْتَ تُرْبَتَهُ
يا نازلَ الصحراءِ موحِشَةً رَيَّانةً بالصمتِ والعَدَمِ
سالتْ بها العَبَرَاتُ مجهشةً وجرتْ بها الاحزانُ من قِدَمِ !
هذا طريقٌ قد ألفناهُ نمشِي وراءَ مُشَيَّعٍ غالِ
كم مِنْ حبيبٍ قد بَكَيْنَاهُ لم يُمْحَ من خُلْدٍ ولا بالِ
لكنَّ يومَكَ فى فجيعتهِ هو أولُ الأيَّامِ فى الشَّجَنِ
وكأنَّما الباكى بدمعتهِ ما ذاقَ قبلكَ لوعةَ الحَزَنِ !
فاذهبْ كما ذهبَ الربيعُ مَضَى واهدأْ كما هدأَ النسيمُ قَضَى
ما كنتَ الا أمةً ذهبتْ أو شعلةً أبصارَنَا خلبتْ
يا راقداً قد بات فى مَثْوَى أين النجومُ أصُخْ كما أهْوَى
لكنَّ حُزْنى لو علمْتَ بهِ لم يُبْقِ لى صَبْراً ولا جُهْدَا
فاعذُر الى يومٍ نفيكَ بهِ حقَّ النبوغِ ونذكرُ المَجْدَا

ابراهيم ناجى ـ

(٦) مرثية السيد التفتازانى

(ألقيتْ على قبر الفقيد)

اللهمَّ قدرنا على مقابلة القضاء بالرضا ، وارزقنا الاجر بالصبر ، وبصرنا بجلال الموت ، وأشرقْ علينـا بنور عطفك حتى ينير ما غشيته الظلمة من أبصارنا بهول هذا المصاب الصادع !

مات شوقى ، فانطوى جيلٌ من أجيال العربية ، وأغمد سيفٌ من سيوف الاسلام ، وأنزل علمٌ من أعلام الشرق عن سارية العظمة والعبقرية ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ليس شوقى بأمير الشعراء ومقدمهم فحسب ، ولا بذلك الينبوع الذى استقت منه يوانع الجيل المزدهرة ، ولا بذلك النور الذى ملأ الدنيا ، ولكنه بلا شك المظهر الاقدس لمنة الله فى عالم الأدب ، والحسنة الخالدة لمصر فى نهضتها الادبية ، بل هو الروح التى جمعت أشتات الجسد الواحد ، فهو الرباط الوثيق بين مصر وبين جميع الناطقين بالضاد ، بل هو فوق ذلك مجمع مفاخر أمة فى رجل .

سيوفّى الشعراء عميدهم حقّه من رثاء وكذلك سيصنع الكتاب اذا ما استبقت اقلامهم الواجب يؤدونه لامام من أئمتهم ، ولكن موقفى أنا من شوقى ـ وقد لقى ربه ـ موقف المبشِّر له بغفران الله ، فقد كان شوقى حسيباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته الطيبة الطاهرة ، إذْ لايخلو شعره الخالد من نفحة من نفحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الاشادة بذكرى آله وعترته ، فقد شاطرهم فى نهج البردة مصابهم الخالد وصورهم فى مجمل شعره بالصورة الطبيعية لهم ، مباهياً بهم ، مفاخراً بأرومتهم ، مصوراً لمبلغ تضحياتهم فى سبيل الاسلام والمسلمين .

من هذه الناحية يعتبر أهل البيت فى انحاء الدنيا أنهم أصيبوا فى الصميم بفقدان شوقى ، فقد كان الفرد الجامع المنافح عنهم المتمسك بالعروة الوثقى فى محبتهم .

أما المسلمون فقد وجدوا فى شعر شوقى سوراً منيعاً وقاهم فى ظروف كثيرة عبثَ الهدّامين وثرثرة الدسّاسين الذين لايرقبون فى الاسلام إلاًّ ولاذمةً ، وها كم ديوان شوقى ، بل ها كم سائر شعره ، استذكروه لتروا مبلغ ما وفى به للاسلام كدين وللمسلمين كاخوان فى الله .

أمَّا أبناء العربية جميعاً ، فستعلمون مبلغ ما نكبهم به الدهر فى هذا المصاب الصادع ، حين تتجاوب اصداؤه فى الشام والعراق واليمن وسائر انحاء المغرب من طرابلس الى أقصى مراكش ، وسيعتبر كلٌّ من لامسَ ذوق شوقى فى أدبه ، وكل مقدرٍ لشخصيته الفذة فى هذا الجيل انه أصيب بفقدان شوقى فى سويداء القلب .

أنزله الله منازل رحمته وحشره فى عداد من أحبهم من الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والعلماء العاملين ، وحسنَ اولئك رفيقاً .

نماذج منوعة
من شعر شوقى

(ومعظمها لم يسبق نشره)

نشيد النيل

النيلُ العذبُ هو الكوثرْ والجنَّةُ شاطئُه الاخضرْ
ريَّانُ الصَّفحةِ والمنظرْ ما أبهى الخلدَ وما أنضرْ !

* * *

البحرُ الفيَّاضُ القدُسُ السَّاقى الناسَ وما غرَسُوا
وهو المنوالُ لما لَبِسُوا والمنعِمُ بالقطرِ الأنورْ

* * *

جعلَ الاحسانَ له شرْعاً لم يَخلُ الوادى مِنْ مَرْعىً
فترى زرعاً يتلو زرعاً وهنا يُجْنَى ، وهنا يُبْذَرْ

* * *